

انتشار الإسلام في آسيا الصغرى

لم تكن آسيا الصغرى في مبدأ الأمر هدفاً استراتيجياً للجيوش الإسلامية في مطلع فجر الإسلام، فما كان الجيش الإسلامي ليشارك في معركة بدافع الغزو أو التوسع، وإنما خرجت تلك الجيوش في أول الأمر دفاعاً عن حمى الإسلام، وحماية لظهره من حكام بيزنطة في مدن الشام الذين كانوا يوقعون المظالم بأهل الشام، ويحرضون مواليهم على العدوان على بلاد الإسلام في شمال الجزيرة العربية. . وهكذا اضطر العرب المسلمون للخروج للقاء الروم في أجنادين، ولحصار دمشق وفتح حمص، ولقاء الروم في معركة حاسمة باليرموك، وإلى إجلاء الروم تماماً عن بيت المقدس، وأصبحت بلاد الشام منذ فجر الإسلام على مدى أربعة عشر قرناً مضت بلاد إسلام.

لكن بيزنطة القديمة ظلت تتآمر على دولة الإسلام، وقد هالها ما ضاع منها خلال سنوات قليلة؛ فقد ارتفعت راية الإسلام على مصر وعلى الشمال الإفريقي، وعزّ على الروم أن ترفرف راية الإسلام على مساحات شاسعة من العالم بعد أن انتصر المسلمون على دولة الفرس، وأقاموا الدولة الإسلامية في العراق وفارس ووصل حكمهم إلى الأندلس. وكان الروم دائماً يتحينون الفرص للانقضاض على دولة الإسلام، ومن ثمّ لم يكن

هناك بدء من أن تسير الجيوش الإسلامية وراء الروم إلى أنطاكية - من مدن آسيا الصغرى - وإلى أرواء وروودس وغيرها من جزر البحر المتوسط (بحر الروم)، بل إلى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية في حصار دام سبع سنوات ٥٤ - ٦١ هـ / ٦٧٤ - ٦٨١ م، قنع المسلمون بالعودة إلى بلادهم موقنين بأن آسيا الصغرى ينبغي أن تظل دوماً تحت أعين حراس الإسلام.

كان الروم يعاودون عدوانهم على آسيا الصغرى، وكانوا ينجحون في الاحتفاظ بأجزاء منها لبعض الوقت. حدث ذلك في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وكان حكام الإسلام يقدرّون خطر ذلك، فها هو ألب أرسلان السلجوقي يهبُ لملافة الروم في آسيا الصغرى في موقعة ملاذكرد ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م، ويأسر الإمبراطور الروماني / رومانوس الرابع. وها هي قونية تغدو عاصمة للسلاجقة في سلطنتهم التي أقاموها في النصف الشرقي من آسيا الصغرى لتزحف بعد ذلك إلى الغرب.

وإذا كان الصليبيون - الذين ظلوا يضمرون الحقد للمسلمين خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة (من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر الميلادي) بسبب ما حقّقه المسلمون من انتصارات في آسيا وإفريقية، بل في الأندلس أيضاً - قد ظلّوا يتطلعون إلى استعادة بيزنطة في الشرق، وتذرّعوا بذريعة الأماكن المقدسة لتستمر حملاتهم على الشرق وليحقّقوا أحلامهم فيه بإقامة ممالك صليبية على حدود شمالي شبه الجزيرة العربية في بيت المقدس وفي الرها وفي أنطاكية وفي طرابلس وغيرها، وكان الحماس

بنجاح الانتصارات التي يحققها إخوتهم لتصفية الوجود الإسلامي في الأندلس يدفعهم إلى المضي قدماً في مشروعاتهم الاستعمارية للشرق العربي، وكانت آسيا الصغرى هي الطريق، والقسطنطينية هي المعبر لمعظم الحملات الصليبية، وبخاصة حملة بطرس الناسك عام ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م، والحملة التي قادها بولدوين، واستولى فيها على الرها، وأنشأ أول إمارة صليبية بها عام ١٠٩٨م، واستولى على أنطاكية عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م، ونجح في احتلال بيت المقدس، وأقام بها أول مملكة صليبية عام ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م، جاءت هي الأخرى عن طريق آسيا الصغرى وعبر القسطنطينية إلى بلاد الشام، وتمكنت تلك الحملة من الانتصار على بقايا السلاجقة عند قونية بآسيا الصغرى ٥٨٦هـ / ١١٩٠م، وحتى الحملة الصليبية الرابعة خلال الفترة ٥٩٥-٦١٥هـ / ١١٩٨-١٢١٨م، جاءت هي الأخرى لتستولي على القسطنطينية عام ٦٠١هـ / ١٢٠٤م .

وهكذا كانت آسيا الصغرى خلال الفترة من ٤٩٠-٦١٥هـ / ١١٩٦-١٢١٨م هدفاً مباشراً للحملات الصليبية الموجهة إلى قلب العالم الإسلامي وشهدت آسيا الصغرى فصولاً عظيمة من فصول الجهاد الإسلامي شارك فيها أتابكة الموصل بالعراق، وكذلك حكام ماردين وآل زنكي؛ حيث اقتحموا إمارة الرها وأسروا أعداداً من الصليبيين خلال الفترة ٥١٣-٥٣٩هـ / ١١١٩-١١٤٤م، كذلك شهد الشام نجاح نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي أمير الموصل في توسيع جبهة الجهاد ضد الصليبيين، بعد أن ضم إمارة دمشق إلى بلاده، وأعلن صلاح الدين الأيوبي نفسه سلطاناً على

بلاد المسلمين الموحدة، وانتصر على الصليبيين في موقعة حطين، ودخلت قوات المسلمين بيت المقدس في رجب ٥٨٣هـ / سبتمبر ١١٨٧م.

وبدأ فصل آخر من فصول تحرير أرض الإسلام عندما استولت الدولة العثمانية على مصر والشام، فقضت على الدولة البيزنطية، بل انتصرت للإسلام، فقامت بمحاربة البلاد المسيحية في شرق أوروبا ووسطها وغربها، ومدت سلطانها حتى فيينا في قب أوروبا، وبذلك قضت على آمال النصارى في العدوان على بلاد الشرق الإسلامي.

وفيما يلي عرض لبعض المعارك التي خاضها المسلمون في آسيا الصغرى لكي تظل راية الإسلام تلك البقاع، ولتذود عن كيان الإسلام.

الرها:

مدينة تاريخية تقع ما بين مجرى الفرات ودجلة في شمال الجزيرة وإلى الجنوب الغربي من مدينة ديار بكر، وعلى مسيرة ٧٨ ميلاً منها. يرجع تأسيسها إلى القرن الرابع ق. م. إبان العصر السلوقي، وعرفت باسم أديسا، ثم دخلت في حوزة الرومان، وتحولت إلى قاعدة مسيحية. وتوالى تشييد الكنائس والأديرة بها حتى اشتهرت بمنشآتها الدينية وتحصيناتها، ثم دخلت في حوزة البيزنطيين. وفي عام ٧هـ - ٦٢٨م انتصر عندها هرقل على الفرس، ولم يمض على هذا التاريخ عشر سنوات حتى دخلت في حدود الدولة الإسلامية الصاعدة.